

المؤرخ ابن عربشاه الدمشقي (791 - 854هـ / 1388 - 1450م) دراسة في سيرته ومؤلفاته

م.د. نجلاء محمد محمود عباس

وزارة التربية - المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ الثالثة - ثانوية فاطمة الزهراء عليها السلام للبنات

مستخلص:

تضمن موضوع البحث الموسوم (المؤرخ ابن عربشاه الدمشقي (791-854هـ / 1388-1450م)، دراسة في سيرته ومؤلفاته، فتناول البحث سيرته، اسمه وولادته، وأهم وظائفه التي اشتغل بها ورحلاته التي شملت بلاد ما وراء النهر بما فيها الخطأ، وخوارزم، وبلاد الدشت، وشبه جزيرة القرم، ثم عودته إلى بلاد الشام، إلى أن استقرت به الحياة في مدينة القاهرة ليتوفي بها، كما تناول البحث نشأته، ورحلاته العلمية، ورغبته الكبيرة في تعلم العلوم والأخذ من كبار شيوخه في البلدان التي سافر إليها واستقر بها برهة من الزمن، كما ذكرت وظائفه المختلفة كتعليم الصبيان، واشتغاله في ديوان الانشاء في الديوان العثماني، في كتابة الرسائل إلى الولاة والترجمة، بعد أن اتقن اللغات الفارسية والتركية والمغولية فضلاً عن العربية، كما أشار البحث إلى مسيرته العلمية، من تلقي العلوم والفنون حتى مرحلة النضوج الفكري والعلمي، ومن ثم مرحلة الانتاج الغزير لمصنفاته التي شملت مختلف العلوم الشرعية والعربية والأدبية، فضلاً عن كتابه التاريخي المهم «عجائب المقدور في نوائب تيمور» والذي يُعدُّ محور بحثنا هذا والذي تناول فيه حياة تيمور من ولادته حتى وفاته، وخلفاؤه الذين حكموا بعده، وتناول البحث كذلك، أسلوب ومنهج وموارد ابن عربشاه في كتابه التاريخي هذا، كما أشار البحث إلى مؤلفات ومصنفات ابن عربشاه المطبوعة والمخطوطة التي أشار إليها المؤرخون في مصادرهم ومراجعهم، مثل كتاب «سيرة الملك الطاهر برقوق» وكتاب «فاكهة الخلفاء، ومفاكهة الظرفاء» وتم الإشارة إلى آراء المؤرخون والعلماء بأبن عربشاه.

الكلمات المفتاحية: المؤرخ، ابن عربشاه، السيرة، المؤلفات، التاريخ.

The Historian Ibn Arabshah al-Dimashqi (791–854 AH / 1388–1450 AD):

A Study of His Biography and Works

Dr. Najlaa Mohamed Mahmoud Abbas

Abstract :

The research entitled “The Historian Ibn Arabshah al-Dimashqi (791–854 AH / 1388–1450 AD): A Study of His Biography and Works” examines the life and intellectual heritage of this prominent figure. The study explores his biography, including his lineage, birth, and the key administrative and scholarly positions he held. It traces his extensive travels, which encompassed Transoxiana (including Khitai), Khwarazm, the Dasht-i Qipchaq (the Kipchak Steppe), and the Crimean Peninsula, followed by his return to the Levant (Bilad al-Sham) and his eventual settlement in Cairo, where he passed away. The research further delves into his upbringing and scholarly journeys, highlighting his profound pursuit of knowledge under the tutelage of eminent sheikhs in the various regions where he resided. It details his diverse professional roles, ranging from teaching children to serving in the Chancery (Diwan al-Insha) of the Ottoman Court, where he was tasked with drafting diplomatic correspondence to governors and providing translation services, owing to his mastery of Persian, Turkish, and Mongolian, in addition to Arabic. Furthermore, the paper charts his academic progression, from his early education in various arts and sciences to his intellectual maturity and the subsequent period of prolific output. His works spanned Sharia sciences, Arabic linguistics, and literature, most notably his seminal historical work, “Aja'ib al-Maqdur fi Nawa'ib Timur” (The Wonders of Destiny in the Calamities of Timur). This book serves as the focal point of this study, as it chronicles the life of Tamerlane from birth to death, as well as the reigns of his successors. The research also analyzes Ibn Arabshah's stylistic approach, historiographical methodology, and the primary sources utilized in this work. Additionally, it surveys his other authored manuscripts and printed editions cited by historians, such as “Sirat al-Malik al-Zahir Barquq” and “Fakihat al-Khulafa' wa Mufakahat al-Zurafa'”, concluding with an overview of the scholarly appraisals and testimonies given by historians regarding his legacy.

Keywords: The Historian, Ibn Arabshah, Biography, Works, History.

سيرته - اسمه ، وولادته:

هو احمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم، شهاب الدين، أبو العباس بن شمس، الدمشقي الأصل، الرومي، وسمي بذلك لأنه سكن في بلاد الروم بآسيا الصغرى، مدة طويلة من الزمن، الحنفي، العجمي، لكونه سكن بلاد العجم برهة من الزمن، وهو والد التاج الدمشقي، ويعرف بأبن عربشاه، وهو الأكثر شهرة، وهو ليس بقريب لداود وصالح أبنى محمد عربشاه الهمداني الأصل، الدمشقين أيضاً⁽¹⁾.

وُلد في داخل مدينة دمشق، وإليها ينتسب، في ليلة الجمعة، منتصف ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ونشأ وترعرع فيها، وكانت لديه رغبة وميول لتعلم العلوم الدينية منذ نعومة أظفاره، فقرأ القرآن الكريم على الزين عمر بن اللبان المقرئ في دمشق، فكانت حياته العلمية زاخرة بالدراسة والمطالعة وحفظ القرآن الكريم بمدة يسيرة.

(1) يُنظر: ابن تغري بردي، جمال الدين، أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874 هـ - 1470 م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ج 2، ص 131 - 145؛ السخاوي، شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ - 1497 م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجليل، بيروت - لبنان، 1412 هـ - 1992 م، ج 2، ص 126 - 131؛ الزركلي: خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من المستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ص 228؛ البغدادى، اسماعيل بن محمد أمين (ت 1399 هـ - 1979 م)؛ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، أعادة طبعه، دار التراث العربي، بيروت - لبنان، ج 1، ص 130.

المقدمة:

يشكل التراث العربي الإسلامي أهمية بالغة في سلم المسائل الحضارية والثقافية والذي له دلالة واضحة على امكانية الإنسان العربي من تسلق سلم الرقي للوصول إلى الأهداف السامية الأصيلة التي تمثل امتداداً طبيعياً للوعي الإنساني العربي. من خلال الوقوف على شخصية ابن عربشاه الدمشقي، يظهر أنه رجل موسوعي الثقافة، لم يخصص اهتمامه لجانب واحد من جوانب المعرفة بل اضطلع في الكثير من العلوم الدينية والشرعية والعربية التي كانت منتشرة في عصره، فكان مؤرخاً، وفقهياً، ومحدثاً، وشاعراً، وأديباً، ترك في كل هذه العلوم والفنون بصمات وآثار تدل إلى هذا الصرح الخالد في حياته، وبالرغم من المآسي وحياة الوحدة والغربة والتنقل والترحال، فإنه كرّس عمره في خدمة العلم والمعرفة والتعليم والتعلم، وله مؤلفاته الكثيرة إلا أن بعضها ما يزال مخطوطات غير منشورة.

وبالرغم من شهرته ومنزلته الرفيعة ومكانته المرموقة التي أشاد به الكثير من المؤرخين والعلماء، فإن الدراسات التي تناولت شخصيته لم تقدم لنا صورة متكاملة عن حياته وسيرته ومؤلفاته، بل تعرضت له بصورة مقتضبة ومختصرة جداً.

لذلك وجدت هذه الشخصية جديرة بالاهتمام والبحث لتوضيح السمات المهمة، والتعرف على اتجاهاتها العلمية، وبغية إبراز دوره العلمي والأدبي فقد كان هذا البحث التاريخي لهذه الشخصية المهمة، فابن عربشاه يمثل المجاهد الذي نذر حياته للعلم والمعرفة والتأليف، ولم يسبق لأحد أن تناول دراسته بشكل مفصل.

التركستان⁽⁵⁾ بمفرده والتقى بالكثير من العلماء والفقهاء وعاد إلى سمرقند وانتظم في مدارسها التي لاقت الدعم الكبير من تيمورلنك الذي كان يشجع العلم ويتقرب إلى العلماء⁽⁶⁾، وتنافس الأمراء والسلاطين على تزيين دولهم بالعلماء، ورجال الفكر في التطوير العلمي والفكري، وخصوصاً في بلاد المشرق الإسلامي كخوارزم، وبخارى، وسمرقند، وغيرها.

وكان ابن عربشاه يمتلك الرغبة في الاستزادة من العلم والمعرفة خاصة أنه حفظ القرآن الكريم، ودرس قدر واسع من الفقه والتفسير والحديث وغيره من العلوم الشرعية والدينية، فدرس في المساجد وأخذ على أيدي عشرات الشيوخ الذين ذكر منهم: البرهان الأندكاني والقاضي جلال الدين السيراني، وأخذ عنه وقرأ النحو على الشيخ حاجي تلميذ السيد، ثم توجه إلى خوارزم⁽⁷⁾. وأخذ على أيدي الكثير من علماءها وفقهاءها،

وفي العام (803هـ - 1400م) تعرضت دمشق للغزو التتري بقيادة تيمورلنك الذي عاث في الأرض فساداً، وارتكب الجرائم البشعة، وكان ابن عربشاه في ذلك الحين صبيّاً في الثانية عشرة من عمره، وقد أطلق على تلك الأيام، أيام الفتنة، وذكر أنه تم اسره مع والدته وأخوته وابن أخته عبد الرحمن بن ابراهيم بن خولان، وتم اقتيادهم مع الأسرة في هجرة قسرية بأمر من تيمورلنك إلى مدينة سمرقند العاصمة التيمورية⁽¹⁾.

وظائفه ورحلاته:

بعد أن استقر ابن عربشاه هناك، بدأ حياته بأجواء جديدة، حيث توفرت له فرص البحث عن مصادر العلم والمعرفة، ليبدأ مرحلة التكوين الثقافي والعلمي الواسع، بفضل توفر المدارس الدينية والعلمية، فأخذ العلوم الدينية عن السيد الشريف الجرجاني (ت 838هـ - 1434م)، وعن الشيخ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت 833هـ - 1429م)، وكان من أهم شيوخه وينزلان ضمن مدارس سمرقند⁽²⁾ الدينية⁽³⁾.

ومن هناك انتقل إلى بلاد الخطأ⁽⁴⁾ ضمن بلاد

البلاد، وقد وثقها ابن بطوطة في رحلاته إليها، ينظر: ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت 779هـ - 1572م)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ط 1، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 1417هـ - 1997م، ج 4، ص 109.

(5) بلاد التركستان: هي بلدان آسيا الوسطى حالياً التي تنتشر فيها القبائل التركية، وحدهم الصين والتبت والخرلخ والكيك والغرّ والجفر والبنجناك والبذكش واذكس وخفشاق وخرخيز، وأول حدهم من جهة المسلمين فأرباب، ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 23.

(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج 2، ص 127.

(7) خوارزم: ليس اسماً للمدينة، إنما هو اسم للناحية بجملتها، فأما القصبة العظمى فقد يقال لها الجرجانية، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 252.

(1) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ص 140..

(2) سمرقند: مدينة آسيوية تسمى عند العرب أحياناً (سمران) تقع في بلاد ما وراء النهر (أوزباكستان حالياً)، وهي تقع على قمة قصبة الصغد وإلى جانبها في جهة الجنوب يقع وادي الصغد وهي مرافعة عليه، ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، (ت 626هـ - 1328م)، معجم البلدان، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، ط 1، دار أحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1429هـ - 2008م، ج 3، ص 246-247.

(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج 2، ص 127.

(4) بلاد الخطأ: هي المناطق الجغرافية التي تقع في شمال الصين، وتعد مدينة الخنسا إحدى أشهر مدن تلك

بحثاً عن العلوم فأقام عند الشيخ حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد البزازي الكردي، وبقي يلازمه في حدود أربع سنوات، أخذ منه خلال هذه المدة الفقه وأصوله، وبعد ذلك توجه إلى شبه جزيرة القرم⁽⁶⁾ (تقع شمال البحر السود) ليجتمع مع علماءها وفقهاءها المشهورين⁽⁷⁾، ومن أبرزهم: الشاعر الأديب عبد المجيد، صاحب قصة يوسف المسماة بمؤنس العشاق بالتركي، وهي من أطرف ما صنف، على حد قول ابن عربشاه⁽⁸⁾.

وبينما كان ابن عربشاه نازلاً ببلاد القرم طلبه السلطان المملوكي بالقاهرة الظاهر جقمق، فاستجاب ابن عربشاه لطلبه، فتوجه إلى بلاد الشام، فقطع بحر الروم - البحر الأسود - باتجاه الدولة العثمانية، وحين وصوله إلى مدينة أدرنة الواقعة ضمن أملاك الدولة العثمانية، تم الامساك به، إذ طلبه السلطان مراد بن عثمان، فأقام عند الدولة العثمانية مدة عشر سنوات⁽⁹⁾.

وفي غضون ذلك ترجم للملك غياث الدين محمد بن مراد بن عثمان، كتاب (جامع الحكايات ولامع الروايات) من اللغة الفارسية إلى اللغة التركية، وهو في ست مجلدات، وكذلك كتاب تفسير أبي الليث السمرقندي القادري⁽¹⁰⁾.

أبو الحسن علي الجزري، (ت 630 هـ / 1232 م)،
الكامل في التاريخ، ط 1، بيروت، دار صادر، 1979 م،
ج 9، ص 123.

(6) القرم: شبه جزيرة تقع في شمال تركيا، وتعد مدينة القرم من أشهر مدنها، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 221.

(7) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ص 141.

(8) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ص 142.

(9) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ص 142.

(10) الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250 هـ - 1834 م)،
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الناشر،

وبعد أن لمسوا فيه القدرة على المعرفة والجدية في الدراسة، انتظم في مدارسها، فكانت المدارس أشبه ما تكون بالجامعات اليوم، فإذا أخذ التلميذ من شيخه العلم الذي يدرسه وأراد أن يستزيد من العلم، رحل إلى بلدة أخرى، بها شيخ أكثر علماً، خصوصاً أن الدولة في ذلك الوقت وفرت المدارس التي تحتوي على حجرات مخصصة لإقامة التلاميذ، ولهذه المدارس أوقاف خاصة ينفق منها على احتياجات المدرسة.

وأصبح ابن عربشاه ينتقل في مدن بلاد ما وراء النهر (نهر جيحون)⁽¹⁾، إلى أن رجع إلى سمرقند، ليلتقي بالشيخ العريان الأدهمي، الذي قيل عنه بلغ ثلاثمائة عام من العمر⁽²⁾ وفي كتاب المنهل الصافي، أنه بلغ ثلاثمائة وخمسون عاماً، وتوفي الأدهمي سنة ثمان وثلاثون وثمانمائة في بلاد التركستان⁽³⁾، وخلال مدة الثمان سنوات التي قضاها ابن عربشاه في بلاد المغول، والتي تُعد مرحلة تلقي العلم والمعلومات الأساسية، اكتسب خلالها الكثير من الفنون والعلوم، وتمكن من اللسان الفارسي والخط المغولي، إذ اتقنها بشكل جيد.

وفي هذه المرحلة، أُنقن النحو على شيوخ بلاد ما وراء النهر، وأجاد الكلام العربي والفارسي والتركي والمغولي، حتى كان يقال له ملك الكلام⁽⁴⁾، ثم ارتحل ابن عربشاه إلى بلاد الدشت وسراي والقبجاق⁽⁵⁾،

(1) بلاد ما وراء النهر: هي البلدان التي تقع إلى الشرق من نهر جيحون، ينظر: الحموي، المصدر نفسه، ج 2، ص 196.

(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج 2، ص 126.

(3) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ص 141.

(4) السخاوي، الضوء اللامع، ص 127.

(5) وهي بلاد حد الروم وتشمل سهول جنوب روسيا وأقصى بلاد غرب آسيا وسيبيريا، ينظر: ابن الاثير،

القصبة، وخلال هذه المدة الزمنية، قرأ صحيح مسلم على القاضي شهاب الدين الحنبلي، وفي العام (832هـ - 1428م) قدم الشيخ علاء الدين أبو عبد الله البخاري⁽²⁾، من بلاد الحجاز ضمن موكب الركب الشامي، فألتقاه ابن عربشاه ولازمه، وانقطع إليه، ليأخذ منه الفقه والمعاني والبيان والتصوف، وبقي ملازماً له وعمل في خدمته حتى وفاته في رمضان من العام (841هـ - 1437م)⁽³⁾. وبعد وفاة علاء الدين البخاري، انتقل ابن عربشاه إلى القاهرة التي تُعد المدينة العلمية ومركز الثقافة العربية في ذلك الوقت ومن هناك بدأ مؤرخنا مرحلة جديدة من حياته، حيث لقاءاته المتعددة مع كبار العلماء والمؤرخين واستفاد منهم من خلال مناظراته وتبادل المعرفة فيما بينهم، وليبدأ مرحلة التأليف، واتخذ الخانقاه المسمى (سعيد السعداء)⁽⁴⁾ مقراً ومسكناً له الذي يقع بمنطقة المنصورة وبدأ بمرحلة الكتابة والتأليف.

مؤلفاته:

يُعدُّ ابن عربشاه من كبار المؤرخين والمؤلفين في الفترة التي عاصرها، وعُرف ببراعته في الكتابة والنظم في اللغات الفارسية والتركية والمغولية، وفي أيام الغزو التتري لتيمورلنك انتقل إلى سمرقند

(2) علاء الدين البخاري (ت 841هـ - 1438م)، فقيه على مذهب أهل السنة والجماعة وطريقة الأشاعرة، من كبار علماء الحنفية في عصره، ولد في بخارى وتوفي في دمشق، ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج 9، ص 292.

(3) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ص 143؛ الشوكاني، البدر الطالع، ص 111.

(4) خانقاه سعيد السعداء، وعرفت بالخانقاه، الناصرية، والخانقاه الصلاحية، أوقفها برسم الفقراء الصوفية السلطان صلاح الدين الأيوبي، وذلك في العام (569هـ - 1173م). ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ص 144.

وفي أيام عمله واقامته عند العثمانيين، اكتشفوا مواهبه وقدرته واسلوبه في الكتابة، فأنيطت به وظائف مهمة منها: أنَّه أصبح كاتب الانشاء في الديوان السلطاني، ولتمكنه من اللغات، فقد كتب إلى ملوك البلدان بلغاتهم، فمنها: باللغة الفارسية إلى محمد شاه بن قرا يوسف، وهو حاكم بغداد الأول من دولة القره قويونلو (ت 846هـ - 1442م)، وكتب بالتركي إلى أمراء الدشت وسلطانها، وكتب بالمغولية إلى شاه رخ، حاكم الدولة التيمورية في هراة بعد أبيه تيمورلنك وباللغة العربية كتب للمؤيد شيخ نائب الممالك في بلاد الشام (ت 824هـ - 1421م)⁽¹⁾.

استغل فترة تواجده في دولة العثمانيين، على الاستزادة والاستفادة في تنمية المعلومات، وحرص على الأخذ من شيوخه المعاصرين، فقرأ المفتاح على البرهان حيدر الخوافي، فاستزاد من علوم اللغة العربية، فاستسعت معلوماته ومهاراته وامكانياته. كما عمل على تدريس أبناء السلاطين العثمانيين، واستمر بذلك حتى وفاة السلطان محمد الأول في العام (824هـ - 1421م)، بعد ذلك لم يروق لأبن عربشاه البقاء في خدمة السلاطين العثمانيين، فعزم التوجه إلى موطنه الأساسي بلاد الشام، فرحل إلى حلب، فدخلها يوم الجمعة، عيد الضحى المبارك في العام (824هـ - 1421م)، وبقي بها مدة أربعة أشهر فقط، ليغادرها بعد ذلك توجه إلى دمشق التي دخلها في ربيع الآخرة عام (825هـ - 1422م)، بعد غيابه عنها مدة ثلاث وعشرون عاماً.

وفي دمشق بقي ابن عربشاه منعزلاً عن الناس، يطلع الكتب، وأحياناً يجلس في حانوت مسجد

دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 110.

(1) السخاوي، الضوء اللامع، ص 127.

كما أنه استفاد من الوثائق الحكومية الرسمية كونه عمل في ديوان الانشاء العثماني، وأطلع على الرسائل المتبادلة مع ولاية العثمانيين في أطراف الدولة، فهذه الوثائق ذات قيمة تاريخية مهمة، وتعد مصادر أولية في تدوين كتاباته، فضلاً عن ذلك، أسلوبه في السجع اعطى المؤلف خاصية مهمة، وقد وصف كتابه هذا حاجي خليفة بقوله (كتاب بديع الأنشاء، سليس الأداء، مسجع مقفى)⁽¹⁾.

وفي الحقيقة أن معظم مؤلفاته غلب عليها السجع: وهو الترصيع بان تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز ومعنى ذلك تكون في الوزن الصرفي ومتفقة في الحرف الأخير أكثر مما يتفق في الفقرتين المتساويتين، وهذا الطابع استعمله ابن عربشاه في الكثير من مؤلفاته، كما استخدم الآيات القرآنية في مواضع مختلفة فضلاً عن الشعر والأمثال المتداولة بين الناس، وترجم كتابه هذا إلى لغات متعددة، ومنها التركية والفارسية، وتكتسب كتاباته أهمية خاصة كونه كان معاصراً وشاهداً. للكثير من أحداثها، كونه عاشر مدة وجيزة في معظم البلدان التي كتب عنها، فلو استعرضنا كتابه لوجدنا في مقدمته يتناول أعمال ونشاطات تيمورلنك والتي وصفها بأنها: (من أعجب القضايا بل من أعظم البلايا، الفتنة التي يحار فيها اللبيب، ويدهش من دُجي هندسها الفطن الأريب، ويسفه فيها الحكيم، ويذل فيها العزيز ويهان الكريم، قصة تيمور، رأس الفساق، الأعرج الدجال، الذي أقام الفتنة شرقاً وغرباً على ساق، أقبلت الدنيا الدنية عليه، فتحققت نجاسته بهذا الغسل، أردت أن أذكر منها ما رأيته وأقصى في ذلك ما رويته، فتولى وسعى في

وهناك اتقن هذه اللغات فضلاً عن لغته الأم العربية، لذا فإن مؤلفاته شملت هذه اللغات جميعها. وعمل في مجال الترجمة التي شملت الكثير من مؤلفاته، فضلاً عن كتابة الانشاء في الديوان العثماني، مما أسهم ذلك في غزارة ثقافته ومعلوماته في المجالات كافة. حتى أصبح ابن عربشاه مؤرخاً وأديباً واسع المعرفة والاطلاع على الكثير من الفنون والعلوم المختلفة، بما فيها علوم القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه والبلاغة والأدب والنحو، وكان شاعراً جيداً له باع طويل في الشعر. منهجه وأسلوبه وموارده في كتاب: «عجائب المقدور في نوائب تيمور».

ترك لنا ابن عربشاه تراثاً خصباً في مجال التاريخ والآداب، وخصوصاً كتابه «عجائب المقدور في نوائب تيمور» الذي بدأ تأليفه في العام (840 هـ - 1437 م) ويعد كتابه هذا كشفاً تاريخياً مهماً من تاريخ وطننا العربي، وأثرى في الحضارة العربية الإسلامية لفترة الغزو المغولي بقيادة تيمورلنك. وسيكون كتابه هذا محور بحثنا الذي تناول فيه قصة حياة تيمورلنك من ولادته حتى وفاته، أوضح فيه خصوصيات تيمورلنك من أدق التفاصيل حتى حالته النفسية ونشاطاته العسكرية، حتى يمكن أن نقول أن كتابه هذا يُعدُّ كمصدر مهم من حيث مادته المفصلة والتي كتبت ودونت دون ضغوط من أحد، فهو لم يقف إلى جانب تيمور أو كان احداً من اتباعه أو مؤيديه، لذلك اتصف الكتاب بالصدق والتفصيل فلم يغادر كبيرة أو صغيرة في خصائص تيمور إلا كتبها، كونه من المطلعين على سير الأحداث أو من المشاركين فيها، أو من المشاهدين لها. فمعلوماته استقاها من مصادرهما وليس من رجال الدولة التي أُلِف لها.

(1) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت 1067 هـ - 1657 م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث العربي، مجلد 2، ص 1128.

وفي ختام حياة تيمور ذكر أبيات شعر لا تخلو
من مظاهر الحزن وتقلب الأيام عندما أدبرت عنه
الدنيا ومحاسنها وسلبته مباهجها ويقول في ذلك
فأنتقل إلى لعنة الله وعقابه، واستقر في اليم زجره
وعذابه، ثم قال شعراً مطولاً وهذا مطلعته:

الدَّهْر دَوْلَابٌ يَدُورُ
فِيهِ السَّرُورُ مَعَ الشَّرُورِ
بَيْنَمَا الْفَتَى فَوْقَ السَّيِّ
وَإِذَا بِهِ تَحْتَ الصَّخُورِ
كَمْ مِنْ شَمُوسٍ فِي سَمَاءٍ
فَلَكَ الْعَلَالُهَا بِدُورِ
لَمَّا أَسْتَوَتْ فِي عَزَاهَا
زَالَتْ وَأَكْشَفَهَا الْفُتُورُ⁽⁴⁾

وقد ساهمت عدة عوامل على تحفيز وتشجيع
ابن عربشاه على الانكباب لهذا المجهود والنجاح،
إذ أدرك ابن عربشاه العديد من المصادر التي
عاصرها، واستفاد منها إلى حد بعيد في كتاباته
التاريخية، إذ اختصر بإتقان عدداً كبيراً من الأخبار
الواردة في تلك الموارد واستخلص الجيد منها وبند
الرديء، وتمكن ببراعة فائقة من توظيف تلك
المصادر التاريخية المهمة التي اطلع عليها واستفاد
منها واقتبس بعض نصوصها وترجمها ولخصها.
ركز ابن عربشاه على مصادر مهمة إلا أنه من
الملاحظ لم يستخدم نظام الحوليات كما هو متبع،
أي تنظيم الحوادث على مر السنين، بل أنه عرض
الحوادث في استطراد عام، ويبدو أنه أمتلك ذاكرة
ممتازة في كتابة التفاصيل الدقيقة، إلا أنه أشار إلى
استخدامه كتاب ابن الشحنة⁽⁵⁾، وقال: (زيادة

الأرض فأفسد فيها، وأهلك الحرث والنسل)⁽¹⁾.
هذه هي نوائب تيمور التي ابتدأ فيها في كتابه،
وبالرغم من أن ابن عربشاه يحمل الضغينة لتيمور
إلا أن التدقيقات التاريخية أثبتت صحة معلوماته
ودقتها وهي من أصدق المؤلفات وأحقها بالأخذ،
ومما يركن إليها، وبالرغم من تحامله في بعض
المواطن التي كتب عنها، فإن كتابه يحتفظ بقيمته
التاريخية إلى اليوم⁽²⁾، فسخطه واطهار مساوئ
تيمور من أهم ما يتميز به.

من جانب آخر يظهر ابن عربشاه صفات تيمور
التي امتدحها إذ قال عنه (وكان تيمور محباً للعلماء،
مقرباً للسادات والشرفاء، يعزُّ العلماء والفضلاء
اعزازاً تاماً، ويقدمهم على كل أحد تقديماً عاماً،
ونزل كل منهم منزلته، ويعرف به إكرامه وحرمة،
أو ينبسط إليهم انبساطاً مزوجاً بهيبه، ويبحث
معهم بحثاً مندرجاً فيه الانصاف والحشجة)⁽³⁾.

ولم يكتفي ابن عربشاه بأخبار تيمور بل
دوّن أخبار أبناءه وأحفاده الذي حكموا المملكة
التيمنية الواسعة من بعده وتناول كذلك حركات
المقاومة التي قامت ضدهم، كما تحدث بأسهاب
مطولاً عن العرس الذي أقامه تيمور لحفيده وذكر
تفاصيل مظاهر الترف والفرح التي عملها تيمور
والشخصيات التي حضرت الاحتفالات والهدايا
القيمة التي حصل عليها بهذه المناسبة.

(1) ابن عربشاه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد
الله (ت 854 هـ - 1450 م)، عجائب المقدور في نوائب
تيمور، تحقيق: سهيل زكار، دار النشر مؤسسة الرسالة،
1986 م، ص 1817.

(2) عباس العزاوي، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول
والتركيان، شركة التجارة للطباعة المحدودة، بغداد،
1376 هـ - 1957 م، ص 207 - 208.

(3) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 443.

(4) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 449.

(5) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 185.

ثم يذكر الحافظ الخوارزمي الذي أخبره أن مَنْ كَتَبَ في الديوان من عساكر تيمور بخصوص حلب وأخبارها (هذا ما نقلته من كل ابن الشحنة كما وجدته⁽⁶⁾)، وفي أخبار مدينة حماة قال: رأيت حين توجهت إلى بلاد الروم عند وصولنا إلى حماة الجامع النوري بها من الجانب الشرقي في حائطه القبلي نقشاً رخامة بالفارسي⁽⁷⁾.

وأما حمص فلم يتعرض لها تيمور ووهبها إلى القائد خالد بن الوليد⁽⁸⁾، أما معلوماته عن العراق والدولة الجلائرية وحكامها التي تعرض إلى أخبارها كثيراً، فأستند بمعلوماته إلى القاضي تاج الدين أحمد النعمان الحنفي الحاكم ببغداد، والذي توفي سنة أربع وثلاثين وثمانمائة بدمشق، ونقل عنه الكثير من الحوادث والأخبار التي وقعت في العراق⁽⁹⁾، كما أخذ بعض الشعر من بعض الشعراء كأبي الطيب، وهذا ما قاله بنفسه ذلك⁽¹⁰⁾، كما اعتمد على الفقيه الشافعي المحدث علاء الدين التبريزي، الذي حكى لأبن عربشاه⁽¹¹⁾.

ويستخدم ابن عربشاه كلمة «قيل»، و«قيل» للدلالة أنه ينقل الخبر وأنه غير متأكد منه، وأحياناً يطلع على المصدر، واعتمد على قول الشعر الذي هو من أنشاءه، ويستعين به كثيراً للتعبير عن الحالة السياسية أو الاجتماعية، كما أشار إلى ذلك في قوله عن أقوال الشعراء ومثال على ذلك:

ايضاح لهذه المحنة مما نقلته من تاريخ ابن الشحنة⁽¹⁾ دون ذكر اسم الكتاب الذي نقل منه.

ومن مصادر معلومات ابن عربشاه شيوخه الذين تتلمذ عندهم فقال: (وقال لي شيخي الامام العالم علاء الدين ابو عبد الله بن محمد بن البخاري، نزيل دمشق في شهور سنة ست وثلاثين وثمانمائة، قُتل السلطان في شعبان سنة إحدى وسبعون وسبعمائة، ومن ذلك الوقت استقل بالملك، وكانت وفاته سنة سبع وثمانمائة⁽²⁾).

كما اشار ابن عربشاه إلى بعض الأحداث التي راها وقال: (أردت أن أذكر منها ما رأيته، وأقص في ذلك ما رويته)، كما أنه يقرأ كتب التواريخ ويأخذ منها كما ذكر: (ورأيت في ذيل تاريخ فارس)⁽³⁾.

في إشارة واضحة على قراءته للكتب التاريخية، ومرات عديدة يكون هو نفسه شاهد عيان لما يكتب وعن سمرقند قال: (ورأيت حد سورها من جهة الغرب، بناها تيمور)⁽⁴⁾. كما يعتمد على الكثير من سور القرآن الكريم التي ذكرت في مواضعها التي وردت في كتابه، ويذكر الكثير من الأمثال الشعبية المتداولة والمتعارفة بين الناس، وأحياناً يمزجها مع شعره وسجعه السلس وفي عبارات مترادفة ومتقاربة المعنى، وكان للشيخ حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد الكردي البزازي دور مهم في انشاده الشعر كما ذكر ذلك⁽⁵⁾.

(1) ابن الشحنة (ت 815 هـ - 1421 م)، وهو فقيه ومؤرخ عربي من أبناء مدينة حلب، ولي القضاء عدة مرات، واستقضى بدمشق والقاهرة، ينظر: الزركلي، البدر الطالع، ج 7، ص 77.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 12.

(3) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 9.

(4) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 28.

(5) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 116.

(6) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 195.

(7) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 199.

(8) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 19.

(9) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 249.

(10) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 277.

(11) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 468.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهند⁽¹⁾

وأحياناً ينقل عن الأخباريين كما في قوله: رأيتُ في أخبار بعض المعنيين أنَّه في شوال سنة خمس وتسعين⁽²⁾، وأحياناً ينقل نصاً معيناً من كتاب أو وثيقة معينة كما أشار إلى ذلك بقوله: (وهذه الرسالة نقلتها كما وجدتها)⁽³⁾، وعندما يكون غير متيقن من الخبر فهو يورد عبارة يقال، وعندما يكتب عن شخصيات معينة ولم يتذكر البعض فيشير صراحة بعد عبارات قيل أو قيل كذا، لا يحضرني اسمائهم⁽⁴⁾، وأحياناً يستطرد في سرد معلوماته مستنداً إلى حكايات، (يُحكى أن قاضي القضاة بمصر كان صاحب التاريخ العجيب، والسالك فيه الأسلوب الغريب، على ما ذكر لي ممن رأى، وأطلع على لفظه ومعناه، من الأذكىاء المهرة والأدباء البررة، مع أني لم أره، وكان قدم الشام، مع عساكر الإسلام⁽⁵⁾، وربما كانت صلة ابن عربشاه الوثيقة ببعض الشخصيات الرسمية أو بتلك التي لها علاقات بالعائلة الحاكمة، سبباً في اسهابه لدى استعراض بعض الأحداث المهمة، فهو يستعرض جوانب مهمة لشخصيات كان لها دور مهم في الأحداث السياسية والعسكرية والدينية. وربما بحكم عمله في ديوان الانشاء، اطلع على الوثائق الرسمية والمكاتبات التي تجري ما بين السلاطين والولاة. كما أنَّه يستند على قوة ذاكرته التي تُعدّ من خبراته الذاتية الخاصة، فما غرسه من أحداث في خياله، ترسخ في ذاكرته.

ويمكن القول أن ابن عربشاه كان ثقة في سرد الحوادث التاريخية وصادقاً بما نقل من أخبار، إلا أنَّه تحامل بألفاظه والتزم التنديد وشمتم تيمور وحمل له الضغينة، كونه شاهد لأفعاله، كما أنَّه لا ينسى عندما أخذ اسيراً من بلاده إلى سمرقند مع والدته وأخوته، إلا أن ذلك لم يقلل من قيمة الكتاب، الذي يُعدّ من الوثائق التي دون فيها جرائم تيمور، وأن من أهم الأسباب لميله في كتابة كتابه هذا هو تدوين وقائع القتل والسلب والدمار، بعد أن وجد بين يديه المعلومات الغزيرة الزاخرة بالأحداث الجسام، ويعد كتابه شاهداً على ما قام به تيمور من جرائم بحق الاسلام والمسلمين خصوصاً في بلاد الشام، موطن ابن عربشاه، فلم ينسى مشهد الأطفال في دمشق، إذ أمر تيمور باخراجهم وتجميعهم في مكان معين، وتراوحت أعمارهم بين الشهرين إلى خمس سنوات، أخذ تيمور يتأملهم، بعدها أشار لرجاله، ليدوسوهم جميعاً بسنابك الخيل، وقد قتلوهم جميعاً، وكان عددهم عشرون ألف طفل⁽⁶⁾.

وهذه مأساة دمشق، التي يصورها ابن عربشاه بأسلوبه المتميز ويظهر قسوة تيمور وجنوده في تعذيب الكبار والأكابر بأنواع العذاب وبدأ ما لم يكن في الحساب، وصنفوا في استخراج النفائس من النفوس، ويطلب من السكان ما لا يقدر على شيء منه، ويقولون للرجال هات ما عليك من المال، فيقول ما عندي من المال، فيضرب ضرباً شديداً، فيخرج جميع ما في بيته من قماش ونحاس، وغير ذلك حتى يخرج بأولاده ونسائه، ويلاط بولده بين يديه، فإذا قضوا من الوطية أوطارهم أو جعوههم

(1) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 54 - 55.

(2) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 62.

(3) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 102.

(4) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 466.

(5) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 440.

(6) سليمان المدني، تيمورلنك في دمشق، ط 1، دار المنارة للدراسات، بيروت-لبنان، 1421هـ-2000م، ص 6.

يعطي لنا احساساً بأنه سجل حسناته فقط، فعند ترجمته للسلطان، وصف جهاده بقوله: ظل الله في الأرضين، ناشر آيات الخير على الاسلام والمسلمين، ماد سراق الويل على الكفرة والملحدین، رافع ألوية الحق، ناصب أبنية الصدق، كاسر أرباب النفاق، جازم أصحاب الشقاق، مظهر كلمة الله العليا، مخفي أثار الشرك والرياء، منصف المظلومين من الظالمين، مشيد مسند سيد المرسلين⁽⁶⁾.

وألف هذا الكتاب في منتصف القرن التاسع الهجري، والمخطوط ينقسم إلى جزئين، الجزء الأول يتناول شيم ومناقب السلطان الظاهر جقمق (ت 857 هـ - 1453 م) في خمسة عشر فصلاً، كان اسلوب ابن عربشاه فيها يتتبع الآداب السلطانية وينصح الأمراء، وتناول بداية الفصل كتابته عن نشأة السلطان الأولى في مدينة القاهرة من فترة قدومه إلى مصر، في حين تناول المخطوط، الأحداث التاريخية المهمة للأعوام الأولى من سلطنة جقمق، وهي الأعوام التي عاصر أحداثها ابن عربشاه، ودون أحداثها بقلمه، ومن ذلك مدحه للسلطان حيث قال: وقد من الله (ﷺ) في هذا العصر، وجبر هذه الأمة الضعيفة بعد الكسر برحمة شاملة ونعمة كاملة، ودولة عادلة)، ومنه أيضاً قوله: (المؤيد بالنصر، المسدد بالفخر)⁽⁷⁾.

وذكر هذا الكتاب الزركلي في أعلامه⁽⁸⁾، ويبدو أن سلاطين المماليك الذين تسلطوا في القاهرة على بلاد مصر وبلاد الشام، وبما أنهم من أصول غير عربية ودخلوا الاسلام، وحققوا انتصارات

بعد ذلك ضرباً، هذا وصاحب البيت قائم يضرب وسط داره⁽¹⁾.

ويضيف ابن عربشاه في وصف مأساة دمشق من سجنه: فجرّوا الرؤوس، وحزّوا الرقاب، وحرّقوا الأكباد، وشوهوا الوجوه، أسالوا الدموع، اشخصوا الأبصار، وبطّو البطون، وأخرسوا الألسن، وصكّوا المسامع، وأرقموا الأنوف، وهشموا الثغور، وحطموا الصدور، وقصموا الظهر، أراقوا الدماء، وأستحلوا الفروج، وأحرقوا الأنفاس، وأبادوا النفوس، وسبكوا الأشباح، وسلبوا الأرواح⁽²⁾، وصارت جماعاتهم فيهم ما بين «وَالْمُنْخَنَقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالْتَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ»⁽³⁾.

ومن أمثلة سجنه مستشهداً بالآيات القرآنية يضيف ابن عربشاه: وفرقوا بين الوالدة وولدها، والروح وجسدها، وزهلت كل مرضعة عما أرضعت، وحازوا كل نفس بما صنعت، وفر المرء من أخيه، ومن أمه وأبيه، وصاحبه وبنيه⁽⁴⁾، «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ»⁽⁵⁾.
ومن مؤلفات المهمة في مجال التاريخ والسير، كتابه المشهور:

2- (التأليف الطاهر في سيرة الملك الطاهر):

وذكر بعنوان آخر باسم التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر جقمق، وهذا الكتاب من الكتب التي ألفها ابن عربشاه في تاريخ السلطان المملوكي جقمق، بحكم العلاقات الشخصية التي لعبت دورها، وكان معاصراً له زماناً ومكاناً، ويبدو أنه

(6) محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، الناشر مكتبة الآداب ومطبعاتها، القاهرة، 1381 هـ - 1962 م، ج 6، ص 274.

(7) محمود رزق سليم، المرجع نفسه، ج 6، ص 375.

(8) الاعلام، ج 2، ص 228.

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 280 - 283

(2) ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 344 .

(3) سورة المائدة: الآية 3

(4) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 282 .

(5) سورة عيسى: الآية 43.

ومن الله استمد الصواب، وأستغفره من الخطأ في الجواب، أَنَّهُ رحيم ثواب كريم وهاب، وسميته (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء)⁽²⁾.

أما أبوابه العشرة التي ذكرها، فهي حسب الترتيب التالي:

- الباب الأول: في ذكر ملك العرب الذي كان لوضع هذا الكتاب.

- الباب الثاني: في وصايا ملك العجم المتميز عن اقترانه بالفضل والحكم.

- الباب الثالث: في حكم ملك الأتراك في ختنة الزاهد شيخ النساك.

- الباب الرابع: في مباحث عالم الإنسان مع العفريت جان الجان.

- الباب الخامس: في نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع.

- الباب السادس: في نوادر التيس الشرقي والكلب الأفريقي.

- الباب السابع: في ذكر القتال بين أبي الأبطال الريال وأبي دغفل سلطان الأفيال.

- الباب الثامن: في حكم الأسد الزاهد وأمثال الحجل الشارد.

- الباب التاسع: في ذكر ملك الطير العقاب، والحجلين الناجيتين من العقاب.

- الباب العاشر: في معاملة الأعداء والأصحاب وسياسة الرعايا والأحباب وفيه: نُكت وأخبار، وتواريخ أخبار وأشرار⁽³⁾.

وتم تأليف هذا الكتاب في العام 852هـ - 1448م، قبل وفاته بستين، ألفه على وزن أبواب

(2) ابن عربشاه، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تحقيق وتعليق، أيمن عبد الجابر البحيري، ط 1، دار الافاق العربية، القاهرة 1421هـ - 2001م، ص 30

(3) ابن عربشاه، فاكهة الخلفاء، ص 30.

باهرة على الصليبيين فكانوا يعتقدون أَنَّهُم ملوك الإسلام والمسلمين، وقد ورد ذلك في كتاب ابن عربشاه الذي ألفه للسلطان جقمق إذ يقول: إن الله حكمه في رقاب الناس وولاية سلطنة الاسلام والمسلمين، وجعله سلطاناً على ملوك مشارق الأرض ومغاربها⁽¹⁾.

3 - الكتاب الثالث المطبوع وهو (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء):

بعد أن اجتاز ابن عربشاه، مرحلة تلقي العلم إلى مرحلة الانتاج الفكري والأدبي، ظهرت عليه بوادر الذكاء والعقل، بعد هذه السنوات الطوال التي صهرت حياته وأظهرت كفاءته وأسلوبه وقدراته، وبعد أن اتقن اللغات الأجنبية وترجم منها وإليها، نبغ في التأليف، فكتابه (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء). يرجع هذا الكتاب أصله إلى كتاب كليله ودمنة الذي ترجمه ابن المقفع بأسلوبه الخاص من الفارسية إلى العربية، وهو بالأساس مترجم من الهندية، وأضيفت إلى نسخته الفارسية حكايات من التراث الفارسي القديم، بفضل الاحتكاك الحضاري والثقافي ما بين الهند والفرس والترك، وبما أن ابن عربشاه كان عارفاً باللغات الفارسية والتركية والمغولية فضلاً عن لغته الأم العربية، فاستطاع ببراعته وثقافته أن يترجمه إلى العربية وأضاف إليه قصص وروايات وحكايات من التراث العربي، وأشعاراً عربية، وأستند فيه إلى مبادئ وأحاديث اسلامية، والكتاب عبارة عن قصص وحكايات على ألسنة الطيور والحيوانات، قال عنه ابن عربشاه: (ووصفت هذا الكتاب نزهة لبنني الآداب، وعمدة لأولي الألباب من الملوك والنواب والأمراء والحجاب، وجعلته عشرة أبواب،

(1) محمود رزق سليم، عصر سلاطين، ج 6، ص 309

والنواب، يُدعى في جوانب مملكته وأطراف ولايته؛ بحيدرة، وبيهس، وضيغم، والدوكس، والغضب، والضرغام، والعنبس، والطيار، والهندس، الغضنفر، والهرماس، والغضبان، وأبي العباس، إلى سائر الأسماء والألقاب، والكنى وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وهو مطاع في ممالكه وولاياته وأقاليمه، مُترشف ثغور الامتثال بشفاه أمثله ومراسمه.

وكان له من خواص الندماء وكبراء الجلساء نديمان كندماني جذيمة يلازمان حضرته ويلجان حريمه، أحدهما ثعلب يدعى أبو نوفل، والآخر ضبع يسمى أخانשל، طبعهما ظريف وشكلهما لطيف، ومحاضرتهما مرغوبة وصحبتهما مطلوبة⁽⁴⁾. أما مؤلفات ابن عربشاه الأخرى التي ذكرت

فهي:

4- برهان الفاراش بقول المعارض:

أشار إلى هذا الكتاب كل من الزركلي، وكحالة⁽⁵⁾.

5- ترجمان المترجم بمتهى الأرب في لغة الترك والعجم والعرب.

6- ترجمة أبي الليث السمرقندي القادري:

بالتركي نظماً⁽⁶⁾.

وباشر بكتابته عند مباشرته بديوان الانشاء، وكذلك كتاب الرؤيا للدينوري⁽⁷⁾.

(4) ابن عربشاه، فاكهة الخلفاء، ص 217.

(5) الزركلي، الاعلام، ج 2، ص 228؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 2، ص 122.

(6) البغدادي، هدية العارفين، ج 2، ص 228؛ الزركلي، الاعلام، ج 2، ص 228.

(7) الشوكاني، البدر الطالع، ص 110؛ السخاوي، الضوء اللامع، ص 12.

كسلوان المطاع⁽¹⁾، كما أنه متأثراً بكتاب مرزبان نامة إلى حد كبير⁽²⁾، وكان متميزاً بأسلوبه وأحاديثه عن غيره، وقد أشار كل من الزركلي والبغدادي إلى كتابه هذا⁽³⁾.

وفي أدناه قطعة من كلام ابن عربشاه، مأخوذة من الباب الخامس في نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع، في كتابه (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء).

قال الشيخ أبو المحاسن؛ المرتوي من بحار الحكمة بماء غير آسن، قال: كان في بعض الغياض أسد رباح، عظيم الصورة كريم السريرة والسيرة، وفي الحشمة على الهمة، كثير الأسماء والألقاب، عزيز الأصحاب بين الأمراء والحجاب والوزراء

(1) سلوان المطاع في عدوان الاتباع، لمحمد ظفر الصقلي (ت 568 هـ - 1172 م)، وهو من كتب مجالس الملوك السادة الخلفاء ومن في مقامهم، وضعه في خمسة أبواب، وكتاب كليل ودمنة، بأنشاء لطيف، أوله الحمد لله الذي شهدت الكائنات بوجوده. ينظر: حاجي خليفة، ج 2، ص 1216.

(2) مرزبان نامة: هو كتاب يشتمل على حكايات وتمثيلات خرافية ذات غاية تعليمية كتب على نمط كتاب دليلة ودمنة وبأسلوبه على السنة الحيوانات والطيور، وترجم هذا الكتاب محمد بن غازي واطاف إليه كثيراً من الأشعار والشواهد العربية وسمي الكتاب: «روضة العقول» وتم تأليفه في العام (598 هـ - 1201 م): ينظر مرزبان، مرزبان بن شروين بن رستم بن شهريار، (ت: 4هـ)، مرزبان نامة ترجمة للعربية شهاب الدين احمد بن محمد بن عرب شاه، ط 1، بيروت - لبنان، عن مطبعة حجري، مطبعة احمد اقندي الازمري، 1997 م، ص 15-0.

(3) الزركلي، الاعلام، ج 2، ص 228؛ البغدادي، هدية العارفين، ج 1، ص 130؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، المكتبة العربية بدمشق، مطبعة الرقي، دمشق، 1376 هـ - 1957، ج 2، ص 122.

7- ترجمة جامع الحكايات:

وترجمه أثناء إقامته في مملكة ابن عثمان للسلطان العثماني، غياث الدين محمد بن بايزيد، وهو في نحو ست مجلدات⁽¹⁾، وهذا الكتاب من تأليف جمال الدين الحوفي، باللغة الفارسية، جُمع للوزير نظام الملك، وترجمه ابن عربشاه إلى التركية، وهو على أربعة أقسام، كل قسم منه خمسة وعشرون باباً⁽²⁾.
8- جلوة الإصلاح الجمالية في حلتي العروض والعربية:

وهي منظومة نثرية مسجوعة وجمعها تحت هذا العنوان، وكتبها للمؤرخ المعروف ابن تغري بردي حينما كان ابن عربشاه يتردد إلى القاهرة في ذلك الوقت، إذ التقى بابن تغري بردي واسمعه كثيراً من مصنفاته نظماً ونثراً، وعدد أبيات هذه القصيدة 183 بيتاً⁽³⁾.

9- خطاب الإهاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب.

ذكر هذا الكتاب حاجي خليفة والبغدادي⁽⁴⁾.

10- العقد الفريد في علم التوحيد:

وكتبه بخطه، عندما التقى بالمؤرخ والفقيه المعروف ابن حجر العسقلاني بالقاهرة في الخانقاه الصلاحية بالعام (850هـ - 1446م)، وبالغ في الأدب والتواضع فيه، ومنه:

(1) الضوء اللامع، ص 012

(2) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 1، ص 539.

(3) ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح (ت 1089هـ - 1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، 1413هـ - 1992، مجلد 9، ص 41؛ البغدادي، هدية العارفين، ج 1، ص 130؛ محمود رزق سليم، عصر سلاطين، ج 8، ص 160.

(4) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 8، ص 411.

فعلش ما شئت في الدنيا وأدرك

بها ما شئت من حيثٍ وصوت

فحبلى العيش موصول بقط

وخيط العمر معقود بموت⁽⁵⁾

واضاف الحنبلي في شذراته:

سبى القلب ظبي من بني العلم أعيد

له مقلة كحلى وخدٌ موردٌ

أوحُدٌ من أنشاءً للخلق فتنة

فيسأل ما التوحيد وهو يعربدُ⁽⁶⁾

11- عنقود النصيحة:

أشار إليه البغدادي في هدية العارفين⁽⁷⁾.

12- غرة السير في دول الترك والتتر:

ويبدو هذا الكتاب من عنوانه أنه يتعلق بالسير للدول التركية والعثمانية والمغولية، وأشار إليه كل من الزركلي، وكحالة، والبغدادي⁽⁸⁾.

13- مرآة الأدب في المعاني والبيان والبديع:

وسلك فيه أسلوباً جميلاً وجعله نظماً ونثراً وعمله قصائد غزلية، كل باب منه قصيدة مفردة، ويكون في نحو ألفي بيت⁽⁹⁾، وذكر ابن عربشاه فيه تقسيم العربية، وذكر فائدته وأقسامه. ومنه:

بدا بتاج في حلى أدب

تسريل الفضل بين العُجب والعجب

بدرًا تَأدب حتى كله أدب

يقول مَنْ يَهُوَ وصلى يكتسب أدبي⁽¹⁰⁾

(5) . الزركلي، الاعلام، ج 2، ص 228؛ البغدادي، هدية العارفين، ج 1، ص 130.

(6) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 8، ص 411.

(7) البغدادي، هدية العارفين، ج 1، ص 130.

(8) الزركلي، الاعلام، ج 2، ص 122 - 228؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 2، ص 122؛ هدية العارفين، ج 1، ص 130.

(9) السخاوي، الضوء اللامع، ص 128 - 130.

(10) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ص 134؛ ابن العماد

14 - وله كتاب في اللغة العربية بمجال النحو:

ما ذكره بقوله: ومن ذلك ما قلته في النحو
مقدمة، استحضرت منها في وصف الأسماء:

حببي أسمى من ذرى الشمس في السما
أيا جارتني أسما خذي وصفني الأسماء
وذلك نوعان عن الفصل معرب

وآخر مبني على شيمة شماً⁽¹⁾

وفاته:

استمر ابن عربشاه في ممارسة حياته الاعتيادية وإقامته في مدينة القاهرة، إلا أنه وقع في أواخر أيامه في مشكلة مع السلطان المملوكي جقمق، وذلك لشكوى تقدم بها ضده السيد حميد الدين القاضي، فأدخل في سجن أهل الجرائم، ودام فيه خمسة أيام، ثم أخرج من السجن، وبقي متأثراً بذلك، فمرض من القهر حتى وافاه الأجل ومات في الخانقاه. الصلاحية بالقاهرة بعد اثني عشر يوماً⁽²⁾، وكانت وفاته في يوم الاثنين منتصف رجب سنة أربع وخمسون وثمانمائة للهجرة، في شهر آب 1450، عن عمر اثنين وستين سنة وستة أشهر وعشرين يوماً⁽³⁾.

قال ابن حجر: ومما كتبه عنه لنفسه يرثيه:

قميص من القطن من حله

وشربة ماء قراح وقوت

ينال به المرء ما يبتغي

وهذا كثير على من يموت⁽⁴⁾

آراء المؤرخين والعلماء بأبن عربشاه:

أشاد الكثير من المؤرخين والعلماء بجهوده وقدراته العلمية واسلوبه البديع المتميز، ومعلوماته الوافرة، في تأليف كتبه المختلفة، فضلاً عن أخلاقه الرفيعة، وهذا ما نلمسه فيما كتبه عنه، فمنهم من عاصره والتقى به، ومنهم من كتب عنه بعد وفاته. ويمكن أن نوجز هذه الآراء بما يأتي:

من أبرز المؤرخين المعاصرين لأبن عربشاه، ابن تغري بردي الأتابكي (ت 874 هـ - 1470 م)، وهو أقدم من كتب عنه وعاصره، والتقاء مرات عدة في مدينة القاهرة، وقد طول كثيراً ترجمته في كتابه (المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي) ووصفه بأمام عصره في المنظور والمنثور، العالم العلامة، البارع، الأديب، الفقيه، اللغوي، النحوي، وكان يتردد إلى القاهرة، وكانت له صحبة وعلاقة أكيدة ومودة، كما ذكر ابن تغري بردي أنه سمع كثيراً من مصنفاته وامتدحه وقال عنه (كانت له قدرة على نظم العلوم وسبكها في قالب المديح والغزل، وأضاف ابن تغري بردي: أنه كتب بخطه، وأسمعي من لفظه غير مرة⁽⁵⁾).

ثم يسرد قوله ورسائله والكثير من الشعر الذي ذكره ابن عربشاه في مدح ابن تغري بردي ومنه:

وجهك الزاهي كبدر ... فوق غصن طلعا

وأسمك الزاكي كمشكا ... سناها لَمعا

وقد اطرأ عليه ابن تغري بردي كثيراً بوصفه له قائلاً: (وناهيك بها دلالة على علم كثير وفضل عزيز، فالله دره، كان أحرصه على ملازمة الأفاضل لتحصيل الفضائل⁽⁶⁾).

الحنبلي، شذرات الذهب، ج 9، ص 410.

(1) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ص 138.

(2) السخاوي، الضوء اللامع، ص 129.

(3) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 8، ص 413.

(4) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 2، ص 145؛

السخاوي، الضوء اللامع، ص 129.

(5) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ص 132.

(6) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ص 145.

حيث التواضع والشخصية المتزنة ورزانة العقل⁽⁴⁾. وبذلك يكون ابن حجر الذي يُعدُّ من أبرز الذين أشادوا به بعد تغري بردي، وكان قد اطلع على معظم مؤلفاته، وابن حجر معروف بقدرته العلمية وهو من بين الأئمة والمؤرخين المشهورين في التاريخ، والمشهود لهم بالرصانة العلمية والأمانة. وقال عنه المقرئزي: نشره سجعاً فعلاً، ووَشَّحَهُ بالأشعار إلى أن قال، لَأَنَّهُ بحر بلاغة وفصاحة، وأضاف، أنشدنا كثيراً من شعره، وله معرفة بالفقه واللغة والبلاغة، ولكن الغالب عليه الأدب⁽⁵⁾.

وقد أشاد الشوكاني بأبن عربشاه وعدد الكثير من سجايات وقال: فيه بلاغة فائقة، وسجعات رائعة، وأشير إليه بالفضيلة، وإجادة النظم والنثر ومعرفة اللغات، وأتقان الضبط، وعذوبة الكلام، وصلاحه المحاضرة واستمر على جميل أوصافه إلى النهاية⁽⁶⁾.

أما كحالة فأبرز الكثير من صفاته العلمية وقال عنه: ابن عربشاه، الأديب، المؤرخ، مشارك في أنواع العلوم، كالفقه، واللغة، والنحو، والبلاغة، ثم ذكر معظم مصنفاته ومؤلفاته⁽⁷⁾.

في حين توسع الزركلي في ذكره، ووصفه بالمؤرخ الرحالة، له اشتغال بالأدب، وبرع في الكتابة والانشاء والنظم باللغات الثلاث، العربية، والفارسية، والتركية، وله تصانيف حسنة.

إلا أن الزركلي انفرد في ذكر ركه في شعره⁽⁸⁾، وربما هذا يرجع إلى كونه عاش مدة من الزمن مع غير الناطقين بالعربية في البلدان التي رحل إليها.

والتقى مع العالم والمؤرخ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ - 1448م)، في القاهرة، وقال ابن حجر أنشدني لنفسه:

الشوق ينهض والجلالة تُركد
أبدأً فبي منك المقيم المقعدُ
أُذنيك في وهمي فأركعُ هيبة
ولربما غلب الغرامُ فأسجدُ
وأرومُ لثمَّ خيالِ أقدام سعت
فتمدُّ نحو تراب موطنها اليدُ
وأخالني في مِخلَب أرقى إذا

جاوزت أني عن جنابك مبعدُ

أشار ابن حجر إلى هذه القصيدة وقال: أنها بديعة أتى فيها بالغاز وتغام وأهاج وجناسات، وتلعب فيها بضروب الأدب، أودعتها في الجواهر والدرر، سمعتها منه⁽¹⁾ وأورد شيئاً من لطيف أبياتها كما ذكر ابن حجر بعض مؤلفاته ومنها قوله: وأوقفني على منظومة في المعاني والبيان، أجاد نظمها وجعل كل باب قصيدة مستقلة غزلاً يؤخذ منه مقصد ذلك الباب⁽²⁾

قال ابن حجر: لقيته بالقاهرة في الخانقاه الصلاحية سنة خمسين وثمانمائة فكتبت عنه في نظمه أشياء وسمعت من لفظه العقد الفريد وعقود النصيحة وكتبها لي بخطه⁽³⁾، كما طرح عليه ابن حجر شيء من الأسئلة وأشاد بلغته وجهوده واثقانه الكلام وما يحمل من أخلاق حميدة من

(1) السخاوي، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، ط 1، ابن حزم، بيروت - لبنان، 1419هـ - 1999م، ج 1، ص 424.

(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج 8، ص 128.

(3) السخاوي، المصدر نفسه، ج 8، ص 129.

(4) السخاوي، المصدر نفسه، ج 8، ص 129.

(5) السخاوي، المصدر نفسه، ج 8، ص 130.

(6) الشوكاني، البدر الطالع، ص 111.

(7) كحالة، معجم المؤلفين، ج 2، ص 122.

(8) الزركلي، الاعلام، ج 2، ص 228.

التي عاصرها ابن عربشاه في العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام وقوة النتاجات الفكرية، والأدبية، والتاريخية، وخصوصاً الشعر والنثر.

4. برزت لنا خصائص أخلاق وشخصية ابن عربشاه، من خلال الأثر الواضح للقرآن الكريم والحديث النبوي والأمثال المتعارفة في أسلوبه ومنهجه وبراعته في الكتابة ممزوجة بالقيم الراقية والنبيلة الإنسانية.

5. التقدير الاجتماعي للعلماء من المحفزات المهمة، وتشجيع الحكام للعلم والعلماء، والتقرب إليهم، فضلاً عن توفير المدارس وتخصيص الأموال اللازمة لها، تطبيقاً لمبادئ الدين الإسلامي في الحصول على العلم والمعرفة والارتقاء العلمي إلى أعلى الدرجات.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

القرآن الكريم .

- ابن الاثير، ابو الحسن علي الجزري، (ت 630 هـ - 1232 م)
1. الكامل في التاريخ، ط1، بيروت، دار صادر، 1979 م.

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت 779 هـ - 1572 م)

2. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ط1، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 1417 هـ - 1997 م.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874 هـ - 1470 م)

3. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق

أما البغدادي فقد وافق الآراء وقال عنه: الأديب، المؤرخ ثم ذكر معظم مؤلفاته الأدبية والتاريخية⁽¹⁾.

كما نال ابن عربشاه اهتمام الكثير من المؤرخين اللاحقين له، ونقلوا عنه كثيراً من مصنفاته ومؤلفاته.

الاستنتاجات:

تعدّ دراسة المؤرخين ودورهم الفاعل في صنع التاريخ الحضاري والسياسي للأمة، أهمية كبيرة، وذلك لإبراز تراث الأمة، وأهمية تراثها العلمي الذي غدّى الإنسانية بينابيعه الصافية.

ومن خلال البحث وبعد الاطلاع على المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع يمكن أن نلخص أهم الاستنتاجات التي توصل إليها موضوع البحث بما يأتي:

1. إن المؤرخ ابن عربشاه، من أبرز الأعلام في التاريخ الإسلامي، وله مصنفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون والآداب واللغة والفقه وغيرها لم يتناوله أحد بالبحث والدراسة في إبراز دوره المهم كشخصية تاريخية أسهم في إثراء تاريخنا الإسلامي وأثخفه بمعلومات تستحق البحث.

2. كان اهتمام ابن عربشاه واضحاً بأحداث الأمة العربية والإسلامية من خلال إيضاح أعمال القتل والسلب والدمار والخراب الذي مارسه تيمور في العراق وبلاد الشام وبقية البلاد الإسلامية، وما ترك من آثار سلبية رزخت تحته الأمة العربية والإسلامية ردحاً من الزمن.

3. من خلال كتابة (عجائب المقدور في نوائب تيمور) نلتمس قوة الكتابة التاريخية والحياة الأدبية

(1) البغدادي، هدية العارفين، ج 1، ص 130.

- محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984.
- ابن عربشاه: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي (ت 854هـ - 1450م)
4. عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق: سهيل زكار، دار النشر مؤسسة الرسالة، 1986م.
5. فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تحقيق وتعليق، أيمن عبد الجابر البحيري، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1421هـ - 2001م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ - 1657م)
6. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط 1، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي (ت 626هـ - 1328م)
7. معجم البلدان، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، ط 1، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1429هـ - 2008م.
- ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح (ت 1089هـ - 1678م).
8. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، 1413هـ - 1992.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ / 1497م)
9. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق ابراهيم باجس عبد المجيد، ط 1، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1419هـ - 1999م.
10. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت-لبنان، 1412هـ - 1992م.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ - 1834م)
11. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الناشر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ثانياً: المراجع**
- البغدادي، اسماعيل محمد أمين
1. هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين، ط 2، بيروت، دار التراث العربي، بيروت، د.ت.
- الزركلي، خير الدين
2. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.
- سليم، محمود رزق
3. عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، الناشر مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، 1381هـ - 1962م.
- العزاوي، عباس
4. التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، شركة التجارة للطباعة المحدودة، بغداد، 1376هـ - 1957م.
- كحالة، عمر رضا
5. معجم المؤلفين، المكتبة العربية بدمشق، مطبعة الرقي، دمشق، 1376هـ - 1957.
- المدني، سليمان
6. تيمورلنك في دمشق، ط 1، دار المنارة للدراسات، بيروت-لبنان، 1421هـ - 2000م.

